**الفلسفة والبيوإطيقا**

1. **مدخل مفاهيمي لأهم مصطلحات البيوإتيقا:**

**تمهيد:**

**لم تعد الفلسفة بحثا نظريا تأمليا في قضايا ميتافيزيقية ومجردة كما كان يتصورها أفلاطون أو ديكارت،و منذ ذلك التمييز الذي أقامه كانط بين الفلسفة النظرية والفلسفة العملية، ارتبطت الفلسفة أكثر فأكثر وخاصة في حياتنا المعاصرة بالحياة العملية والتطبيقية، وترتب على ذلك بروز فروع فلسفية جديدة أهمها فلسفة الأخلاق و الفلسفة السياسية وفلسفة الحقوق وفلسفة الثقافة وفلسفة الفعل والفلسفة واليومي والأخلاقيات التطبيقية، هذه الأخيرة التي تفرعت بدورها إلى فروع مختلفة أهمها الأخلاق البيولوجية ( البيوإطيقا) والأخلاق البيئية وأخلاق الأعمال...، وهذا يشير إلى توسيع ميدان الأخلاق في الفلسفة إلى مجالات عملية وعلمية مثل البيولوجيا والبيئة والأعمال... وباعتبار البيوإطيقا مجال بحث فلسفي أخلاقي يندرج ضمن الأخلاقيات التطبيقية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ماهي الأخلاقيات التطبيقية ؟ وما هي البيوطيقا ؟**

**1- تعريف الأخلاقيات التطبيقية:**

**يعرّف القاموس الأخلاقيات التطبيقية- Les éthiques pratiques " على أنها معايير ثابتة للسلوك والحكم الأخلاقي. تحكم هذه المعايير السلوك المهني للموظف في أي مهنة،وخاصة أولئك المسؤولين عن التفاعل مع الجمهور." هذا التعريف يشير الى علاقة الأخلاق بكل الأفعال العملية ويصفها بالطابع المعياري، أي القواعد والقوانين التي توجه الفعل في مجال معين أخلاقيا، ومن هنا تكتسي طابعها " الديونطولوجي- Déontologique" أي الواجبي بالمعنى الكانطي، ولكن ما يجب معرفته كما يذهب إلى ذلك الفيلسوف بول ريكور، هو أن كل أخلاق واجبية تتأسس على الأخلاق الغائية "التيليولوجية- Téléologique " للجماعة أو المجتمع، أي أن كل أخلاق واجبية تستمد قوانينها وقواعدها من الأهداف والغايات العامة والخاصة للمجتمع، ومن هنا استخلص ريكور جدلية الأخلاق الغائية والواجبية للأفعال التطبيقية.**

**إن صفة التطبيق تشير أيضا إل الجانب العملي بكل مظاهره الحسية والفعلية والتي تقبل هذا التوجيه الأخلاقي، وهو هنا الفعل الإنساني في علاقته بالحياة البيولوجية والمؤسسات الاجتماعية والبيئية. وهذا الارتباط هو الذي أنتج فروع الأخلاقيات التطبيقية المعاصرة كمباحث فلسفية أساسية مثل الأخلاق البيولوجية أو " البيوإطيقاBioéthique-"، و" الأخلاق الطبية L’éthique médicale-، و" الأخلاق القضائية- L’éthique judiciaire "، و" أخلاق الأعمال-L’éthique des affaires، وأخيرا، " الأخلاق البيئية-.L’éthique de l’environnement.**

**2- تعريف البيوإطيقا:**

**لغة: البيوإطيقا كلمة مركبة من شطرين: البيو bios التي تعني الحياة أو البيولوجيا و Ethicos التي تعني الأخلاق، فهي في الجملة الأخلاق البيولوجية أو أخلاق الحياة bioéthique.**

**اصطلاحا: - جاء في قانون الصحة الجزائري تعريفا للبيوإطيقا بأنها " كل التدابير المرتبطة بالنشاطات المتعلقة بنزع الأعضاء وزرعها والأنسجة والخلايا والتبرع بالدم البشري ومشتقاته والمساعدة الطبية على الإنجاب والبحث البيو-طبي " هذا يعني أن المسائل الأولى للبيوإطيقا قد نشأت في الحقل الطبي، حيث تطرح التساؤلات الأخلاقية حول الأعمال الجديدة التي يقوم بها الأطباء في معالجة مرضاهم.**

* **"البيوإطيقا هي بحث أخلاقي تطبيقي في القضايا المطروحة من طرف التقدم البيو-طبي."**
* **" البيوإطيقا هي الدراسة المتعددة الاختصاصات لمجموع الشروط التي يستوجبها تسيير مسؤول للحياة الإنسانية ( ) في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعرفة وللتقنيات البيو-طبية."**
* **"البيوإطيقا هي البحث عن حلول للخلافات القيمية (صراع القيم ) في عالم التدخلات البيو-طبية. "**
* **غي ديران: البيوإطيقا هي " ممارسات وخطابات، يكون موضوعها توضيح وحل قضايا ذات المغزى الإطيقي، التي يثيرها التطور التقنو-علمي في مجال الصحة والحياة الإنسانية "**
* **جاكلين روس: " البيوإطيقا هي البحث عن جملة المطالب لاحترام الحياة الانسانية والشخصية وتقدمهما في القطاع الحيوي- الطبي ( الاخلاق الحياتية )**

**استنتاج: لمفهوم البيوإطيقا دلالات متعددة يمكن أن نحددها في مستويين أساسيين:**

* **مستوى دقيق هي أن البيوإتيقا " بحث أو دراسة ذات بعد أخلاقي تتجه إلى معالجة ومناقشة المشكلات الناجمة عن التقدم العلمي الحاصل في البيولوجيا والطب خاصة التقنيات الجديدة المستخدمة في المجال البيو-طبي ( البيو- تكنولوجيا، تكنولوجيا- النانو ) وآثارها المتشعبة على حياة الإنسان "**
* **مستوى أوسع البيوإتيقا هي " تفكير إتيقي في الحياة عامة وأينما كانت في طبيعتها وأصلها، في شروطها وظروفها، في نوعيتها وجودتها وإمكانيات تعديلها وتحسينها "**

1. **البيو-تكنولوجيا:La biotechnologie أو التكنولوجيا الحيوية هي علم يجمع بين البيولوجيا والتكنولوجيا لتطوير حلول مبتكرة في العديد من المجالات مثل تطوير محاصيل مقاومة للأمراض أو الحشرات أو تحمل الجفاف أو تطوير علاجات جديدة للأمراض، انتاج الأدوية والوقود الحيوي والمنسوجات، معالجة النفايات،تقليل التلوث...اذن البيوتكنولوجيا هي استخدام تقنيات حيوية لتحقيق أهداف بشرية مفيدة.**
2. **البيو-طبي: biomedical: يشير الى العلاقة بين البيولوجيا والطب، أي دراسة قوانين البيولوجيا في علاقتها بالطب في معالجته للأمراض، فهو مصطلح يشير الى مجموعة من النماذج التي تفسر الصحة والمرض، وقد كان النموذج التقليدي يفسر الأمراض بردها الى أسباب عضوية فقط مثل البكتيريا و الفيروسات. أما النماذج الحديثة في تفسير الامراض فهي تضيف الى التفسير العضوي للمرض التفسيرات النفسية أيضا.**
3. **التقنو-طبي: بشير هذا المصطلح الى التقاطع بين التكنولوجيا والطب، وهذا يعني استخدام التكنولوجيا في مختلف العمليات الطبية، في معالجة الأمراض والرعاية الصحية. الطبيب يستخدم وسائل تقنية في تشخيص الأمراض ومعالجتها، وقد تطورت هذه الأدوات في عصرنا كثيرا مثل الربوتات الجراحية، التصوير بالرنين المغناطيسي، والأشعة...**

**نشأة مفهوم البيوإطيقا:**

**يرجع الباحث (غي ديران ) في كتابه: " مقدمة في البيوإطيقا: التاريخ والتصورات والوسائل." نشأة كلمة البيوإطيقا إلى سنة 1970 " في مقال لعالم السرطان الأمريكي فون رونسيلار بوتر بعنوان ( البيوإطيقا علم البقاء)، والذي ما لبث أن أدرجه ضمن كتابه " البيوإطيقا: جسر نحو المستقبل " وأبرز هذا العالم التداخل بين حقلين أساسيين هما الأخلاق ( ethikos ) من جهة، والحياة ( bios ) من جهة أخرى، حيث يفرض التطور العلمي والتقني في مجال البيولوجيا والطب تدخل القيم الأخلاقية والإنسانية. يقول العالم بوتر: " البيوإطيقا كما أتصورها تبذل ما في وسعها لإنبثاق حكمة أو علم أو معرفة متعلقة بكيفية استخدام العلم لخير المجتمع، على أساس من معرفة واقعية للطبيعة البيولوجية للإنسان وللعالم البيولوجي".**

**لقد نشأت البيوإطيقا عن جدل بين إتجاهين كبيرين: أحدهما يتبع النظرية الداروينية التي تنظر إلى الإنسان كحيوان بيولوجي متطور، و تسمح بإجراء كل التجارب العلمية والتقنية عليه، وبالتالي، تعطي أولوية في البحث البيولوجي والطبي للعلم على الأخلاق، حيث تأسيس الأخلاق على العلم المتغير جعلها نسبية ومتغيرة، واختلط على الناس الحكم الأخلاقي الصحيح فيما يخص القضايا التي تطرحها البيولوجيا والطب مثل الهندسة الوراثية وإمكانية تغيير المورثات، وتقنيات النانو واستخدامها في معالجة الأمراض، ونقل الأعضاء وزرعها... وكل هذه المسائل أدخلت الأخلاق في إحراج.**

**أما الاتجاه الثاني، فهو الاتجاه الذي يعطي أولوية للأخلاق على العلم ويتساءل عن قيمة الشخص الإنساني في الميدان البيولوجي والطبي، وقد استخدم هذا الاتجاه فلسفة كانط التي ترفض استخدام الإنسان كوسيلة مادية لأغراض نفعية، وتعتبر الإنسان غاية في حد ذاته، وتبني على أساس ذلك مجموعة من القواعد والقوانين الأخلاقية التي تخدم تلك الغاية، ولقد تحولت هذه الأخلاق إلى أخلاق ديونطولوجية تحكم ميداني البيولوجيا والطب، وهذا ما نسميه البيوإطيقا أي " أخلاقيات البيولوجيا " الذي كان سؤالها المحوري: إلى أي مدى يجوز تسخير العلم للتحكم في هذه المجالات ؟**

**وظهر الفكر البيوإطيقي على المستوى السياسي أيضا بعد التجارب الطبية التي أجراها النازيون على الإنسان خلال الحرب، حيث قامت محكمة نومبورغ بعد الحرب العالمية الثانية بمحاكمتهم، وبادرت فرنسا نتيجة لذلك بإنشاء اللجنة الوطنية الاستشارية للإيطيقا في علوم الحياة والصحة CCNE، ثم توسعت هذه اللجنة في العديد من الدول الأوروبية إلى أن تأسست " المجموعة الأوروبية للإطيقا والعلوم والتكنولوجيات الجديدة".**